﴿ الرَّحْمَنُ عَلَّمَ الْقُرْآنَ خَلَقَ الْإِنسَانَ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾

(الرحمن: 1_4)

المحاضرة السابعة: المحسنات البديعية (المطابقة والمقابلة)

تمهيد:

تتّسم لغتنا العربية بالجمال والكمال ، وتمثّل قمة الإبداع اللغوي لما تحويه من غنى عظيم في مفرداتها وإتقان محكم في تراكيبها وزخرف أخاذ في أشكالها وجمال موسيقي في جرسها ، ومن أبرز ما يعكس جمالها ما فيها من ألوان بديعية معنوية أو لفظية ، وسنتناول في الصفحات القليلة القادمة بعضَها بالشرح والتمثيل ، بدءا بالمطابقة والمقابلة.

أولا: علم البديع:

1. تعريفه:

بعلم البديع يكتمل مثلث علوم البلاغة المعاني والبيان والبديع ، وهو:

❖ **في اللغة:** هو الجديد المخترع ، تقول بدع فلان يَبْدَعُه بدْعا إذا أنشأه على غير مثال سابق فهو مبدِع والشيء مُبدَع ومنه قوله تعالى:﴿ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ ﴾ (الأحقاف: 9) ومنه البديع اسم من أسماء الله تعالى بمعنى المبدع ؛ أي المُوجد للأشياء على غير مثال متقدّم ، يقول تعالى: ﴿ بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنَّى يَكُونُ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴾ (الأنعام: 101). وأبدع أي أتى بما هو مبتكر جديد بديع على غير مثال سبق.

❖ **وفي الاصطلاح:** عرّفه " الخطيب القزويني " بقوله: " هو علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة ".

وقيل: إنّ أوّل من ألّف في هذا الفن **" عبد الله بن المعتز العباسي "** (ت 274 هـ)، حيث جمع ما اكتشفه في الشعر من محسنات في كتاب أسماه **(البديع).**

2. أقسامه:

وجوه التحسين في الكلام قسمان:

- **المحسنات اللفظية:** وهي التي يكون التحسين بها راجعا للفظ أصالة وإن أحسنت المعنى.
- **المحسنات المعنوية:** وهي التي يكون التحسين بها راجع للمعنى أولا وبالذات ، وإن كان بعضها قد يفيد تحسين اللفظ أيضا.

❖ ومن المحسنات المعنوية: **المطابقة والمقابلة.**

ثانيا: المطابقة:

1. تعريفها:

ويقال لها الطباق والتطبيق والتضاد والتكافؤ ، وهي الجمع بين المتضادين ؛ أي معنيين متقابلين ، إمّا حقيقة مثل قوله تعالى:﴿ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ﴾ (الكهف: 18) أو مجازا ، مثل قوله تعالى:﴿ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴾ (البقرة: 16)، فاشتراء الضلالة وبيع الهدى مجاز.

2. أنواعها:

وهي ثلاثة أنواع:

- **مطابقة الإيجاب:** وهي ما صُرّح فيها بإظهار الضدين أو هي ما لم يختلف فيه الضدّان إيجابا وسلبا.

مثال توضيحي: قال الرسول صلّى الله عليه وسلّم: " اغتنم خمسا قبل خمس: **شبابك** قبل **هرمك** ، و**صحتك** قبل **سقمك** ، و**غناك** قبل **فقرك** ، و**فراغك** قبل **شغلك** ، و**حياتك** قبل **موتك** ".

- **مطابقة السلب:** وهي ما لم يُصرّح فيها بإظهار الضدين أو هي ما اختلف فيها الضدان ، أو هي ما اختلف فيها الضدان إيجابا وسلبا.

مثال توضيحي: كقول الشاعر:

ننكر إن شئنا على الناس قولهم **ولا ينكرون** القول حين نقول

- **إيهام التضاد:** وهو أن يوهم لفظ الضدّ انّه ضد مع أنّه ليس بضدّ.

مثال توضيحي: يقول الشاعر:

لا تعجبي يـــا سلم من رجل **ضحك** المشيــب برأسه **فبكى**

فـ(الضحك) هنا من جهة المعنى ليس بضد (البكاء) ؛ لأنّه من كناية عن كثرة الشيب ولكنّه من جهة اللفظ يوهم المطابقة.

ثالثا: المقابلة:

1. تعريفها:

هي أن يُؤتى في الكلام بمعنيين أو أكثر ، ثمّ يُذكر بعد ذلك ما يُقابل هذه المعاني على الترتيب. مثال ذلك قول بعض البلغاء: **كَدَرُ الجماعة** خير من **صفو الفرقة.** (كدر_ صفو) ، (جماعة_ فرقة).

2. أنواعها:

وهي خمسة أنواع:

- **مقابلة اثنين باثنين:** مثل قول الرسول _ صلّى الله عليه وسلّم _: " من سرّته حسنة وساءته سيئته فهو مؤمن ". **(سرته_ ساءته)، (حسنة _ سيئة)**
- **مقابلة ثلاثة بثلاثة:** مثل قوله تعالى: ﴿ **وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ** ﴾ **(الأعراف: 157) (يحل_ يحرم)، (لهم _ عليهم)، (الطيبات _ الخبائث)**
- **مقابلة أربعة بأربعة:** مثل قول الشاعر:

وبـــــاسط خير فيكم بيمينه وقـــــابض شر عنكم بشماله

(باسط _ قابض) ، (خير _ شر) ، (فيكم _ عنكم) ، (يمينه _ شماله).

- **مقابلة خمسة بخمسة:** مثل قول الشاعر:

أزورهم وسواد الليل يشفع لي وأنثني وبياض الصبح يغري بي

(أزورهم _أنثني) ، (سواد_بياض) ،(الليل_الصبح) (يشفع_يغري) ، (لي _ بي)

- **مقابلة ستة بستة:** مثل قول الشاعر:

على رأس عبد تاج عزّ يزيّنه وفي رِجل حرّ قيد ذلّ يشينه

(على_ في) ، (رأس_ رِجل) ، (عبد_ حر) ، (تاج _ قيد) ، (عزّ _ ذلّ) ، (يزيّنه _ يشينه)

رابعا: أثرهما البلاغي

إبراز المعنى وتوضيحه مع استمرار الحدث ودوامه وشموله ، فمجيء المطابقة والمقابلة للشيء إنّما يرسّخه في الذهن.

خامسا: الفرق بين المطابقة والمقابلة

الفرق بين المطابقة والمقابلة من وجهين:

- **أحدهما:** أنّ الطباق لا يكون إلا بالأضداد ، والمقابلة تكون بالأضداد وبغيرها ، وإن كانت الأضداد أعلى رتبة وأعظم موقعا.
- **والثاني:** أنّ الطباق لا يكون إلا بين ضدين فقط ، والمقابلة لا تكون إلا بما زاد عن ذلك من أربعة إلى عشر ، وكلّما كثُر عددها كانت أوقع.

خاتمة:

للمطابقة والمقابلة أثرهما الواضح في بلاغة الكلام ، فكل منهما يُضفي على القول رونقا وبهجة ويُقوّي الصلة بين الألفاظ والمعاني ، ويُوضّح الأفكار ويبيّنها ، ذلك لأنّ من صفات الأدب الجيد تلاحم أجزائه وائتلاف ألفاظه ، و كما يحدث هذا التلاحم بواسطة التشابه يحدث كذلك بواسطة

التضاد ؛ لأنّ المعاني يستدعي بعضها بعضا ؛ فمنها ما يستدعي شبيهه ، ومنها ما يستدعي مقابله بل إنّ الضد أكثر حضورا على الذهن من الشبيه ، وأوضح في الدلالة على المعنى منه.

- **مراجع:**

1. في البلاغة العربية _علم البديع ، أحمد مصطفى المراغي ، دار العلوم العربية ، بيروت ، لبنان ، د ط ، 1999 ، ص 67
2. فن البديع ، عبد القادر حسين ، دار الشروق ، القاهرة_ مصر ، ط 1 ، 1983 ، المطابقة ص 45
3. الكافي في البلاغة _البيان والبديع والمعاني_ ، أيمن أمين عبد الغني ، دار التوقيفية للتراث ، القاهرة_ مصر ، دط ، د ت ، ص 167.